قبس من فصاحة علماء تلمسان في كتاب البستان

الدكتور/ وليد دادة عبد الحكيم
قسم اللغة العربية
جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان–
– الجزائر

Abstract :

We think that the book El Boustān (The field) is a great work. It is interested with objective, Koranic and human sciences in their diversity. Thanks to it, many famous personalities are shown out by means of their works.

Our research attempts to show out some aspects that we have chosen, and in our opinion, merit a deep academic research in order to stick out some of human and Maghrebian forgotten thought parts, that illuminated silently knowledge.

مقدمة:

تعددت مآثر علماء تلمسان الطيبة، ومناقبهم الحميدة، ولم يدّخر المؤلف ابن مريم جهدا إلا وبذله في سبيل نصرة هذا العالم الجليل أو ذاك الولي الصالح، وحاول جاهدا أن يكون حياديا في طرح المسائل وعرض المناظرات، كما كان أمينا على نقل الكرامات وإن خرج بعضها عن المألوف؛ إلا أنه نقلها بأمانة السامع من ثقات أهل العلم والدراية؛ مما أتاح لي فرصة

استعراض بعض لما جادت به قريحة المؤلف لبعض ما يتمتع به العلماء والأولياء من فصاحة وبيان:

* "سيدي احمد بن محمد بن محمد بن عشان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله .. قرأ على سيدي أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، أخذ عنه الأصول والمنطق والمعاني والبيان والعربية، معاصرا لزمام محمد بن غازي" (01). هنا المؤلف جمع لنا ثلاثة علماء في حديثه عن العالم سيدي أحمد .. ويقول عن سيدي أحمد: "كان شاعرا ماهرا في عروض الشعر وكان معاصرا للإمام محمد بن غازي وكان يلغز كلّ واحد لصاحبه بالمسائل نظما ويجيبه صاحبه بالنظم ومن نظم ما بعث ابن غازي إليه:

- وميت قبر طعمه عند رأسه ... إذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
- يقوم فيمشي صامتا متكلما... ويأوي إلى القبر الذي فيه قوما
- فلا هو حي يستحق زيارة... ولا هو ميت يستحق ترحـــــــــما

فكان ردّ سيدي أحمد بن الحاج رحمه الله ورضي الله عنه ينم عن فطنة و ذكاء وبديهة حاضرة وتعلق بالعلم وحب للأدب وروح تواقة للمعرفة فيرد عليه:

- بحمد الله أبتدي ثم بعده... أصلي على خير الأنام مسلما
- هو القلم القبر الدواة وطعمه .. مداد كلامه الكتابة فافهما
- وكاتب هذا أحمد بن محمد ... عفا الله عنه كل ما كان أجرما"(02)

* سيدي أحمد بن عيسى الورنيدي ثم الزكوطي يعرف بأبركان من جبل بني ورنيد رضي الله عنه"، نلاحظ هنا البيان الواضح في حق الجار تيمنا بقوله تعالى: "وعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار

الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم أن الله لا يحب من كان مختالا فخورا" سورة: النساء، آية: 36، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"، يحدثنا ابن مريم قائلا: "يقول المؤلف: ومما جرى لي معه في ابتداء قراءتي عليه في صغر سنّي أني تشاجرت مع رجل من جيراني في خلاء و لم يطلع علي أحد إلا الله، ثم جئته فوجدته في المسجد جالسا؛ فسلمت عليه؛ فنهرني وقال كيف تشاجر مع فلان جارك ؟ حاشاك من هذا! فقلت له: يا سيدي ظلمني. فقال لي: قال الله العظيم: " والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس" سورة: آل عمران، آية: 134، وإن لم تكن ديانة تكن صيانة والصيانة ثوب الديانة" [03].

و يسترسل قائلا: "قال المؤلف رحمه الله: كلما جئت لزيارته أقبل يده وأجلس معه ثم يلتفت خلفه ويعطيني الخبز والتمر والتين والعنب، وأستحي منه أن آكل. فيقول: لي كُلْ إن اجتمعوا لم يفترقوا إلا على ذواق. قلت له: ترى يا سيدي هذا الذواق حسّي أو معنوي؛ الحسي الأكل والمعنوي سائل العلم. فقال لي: يا ولدي يحتمل ولكن الجمع بينهما أولى"[04].

أما التمر فقد ذكر بالقرآن في قوله تعالى: "وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، فكلي واشربي وقري عينا.." ، سورة: مريم آية: 25 ، وأما التين فقد أقسم الله به في قوله تعالى: "والتين والزيتون" سورة: التين، آية: 1، وأما العنب؛ فقد ذكر في القرآن كثيرا –لا سيما– آيات الترغيب في الجنة، وأما الخبز فقد جاء ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: .. وقال الآخر إني أراني أحمل فوق راسي خبزاً" سورة: يوسف، آية: 36. وفوائد هذه الأربعة مذكورة في الكتاب و السنة.

وإذا كان البيان هو "ما بيتن به الشيء من الدلالة وغيرها، والفصاحة واللّسن، و إظهار المقصود بأبلغ لفظ"[05]، فقد اجتمعت لـــ "سيدي احمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق"[06] في قوله: .. فبقيت بعون الله بين جدتي الفقيهة أم البنين – نفعنا الله بها والفقيرة إلى رحمة الله –فكفلتني –أم البنين– حتى بلغت العشر وحفظت القرآن، فأدخلتني الصنعة، فتعلمت صناعة الخرز، ثم نقلني الله تعالى بعد بلوغي السادس عاشر إلى القراءة؛ فقرأت الرسالة على الشيخ على السيطي والشيخ عبد الله الفخار، قراءة بحث وتحقيق، ثم قرأت القرآن على جماعة منهم القوري والزهروني وكان رجلا صالحا والمحاصي والأستاذ الصغير كل ذلك بقراءة نافع، ثم اشتغلت بالتصوف و التوحيد فأخذت الرسالة القدسية وعقائد الطوسي على الشيخ عبدالرحمان المجدولي –وكنا بعض التنوير على أبي عبد الله القوري وسمعت عليه البخاري كثيرا وتفقيت عليه في أحكام عبد الحق الصغرى وجامع الترمذي–وأخذت ذلك تفقها"[07].

وهنا إشارة للدور الهام الذي تلعبه المرأة الفقيهة، كما أن هناك إشارة إني نوع خاص من القراءة(قراءة بحث وتحقيق) وليست أي قراءة. ويشير على أن التصوف اشتغال وليس علما نظريا؛ فهو جهاد النفس وكفها عن النزوات والشهوات، وكذلك التوحيد فهو –أيضا– اشتغال في ذات الله وتوحيد الخالق البارئ المصور. وهناك –أيضا– تعظيم وتحفيز للصنعة.

والبيان هو "بَانَ الشيء بياناً اتضح فهو بيّن"[08]. يبين لنا هذا العالم الصالح لماذا لقب بـــ (زروق) قائلا: "إنما جاءني من جهة الجد. كان أزرق العينين واكتسبه من أمه. قال: وكانت شريفة لكنني لم أتحقق نسبها لموت أبي؛ وشرف المرء إنما هو في سلامة دينه وحليته

ومروءته ولا شرف أكبر من تقوى الله تعالى لقوله "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" سورة: الحجرات، آية 13 :[09].

وتحت مقولة الخليل بن أحمد الفراهيدي "الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا"[10]

نسمع نظم هذا العالم وكيف وظّف الشعر وجعله طوع يديه:

- إذا كنت في ضيق وفم وعاهة ... وقلب كسير ثم سقم وفاقة
- توجه لقرب ثم أسرع بخطوة... فناد أيا نروق آت بسرعة
- فكم كربة تجلى إذا نكر اسمنا... وكم ثمرة تجنى بأفراد صحبتي [11]

وإذا كانت "الفصحى من الأفصح وهو الأجود لغة وبيانا، وهي العربية الفصحى أي الخالصة السليمة من كل عيب و لا يخالطها لفظ عامي أو أعجمي تجمع على فُصح والفصح في العربية من صميم اللغة"[12]، نرى ذلك عند "سيدي محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبدالرحمان القرشي التلمساني الشهير بالمقري: "قال: سمعت الإمام الأبلي يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن رشيد يقول في خطبته: من يطع الله ورسوله فقد رشد، بالكسر. وكان الطلبة ينكرون عليه فلا يرجع، فلما أقبل ابن رشيد من رحلته تلك دخل على الأستاذ أبي الحسن ابن أبو الرفيع بسبتة؛ فهناه بالقدوم وقال له فيما قال: رَشِدْتَ يا ابن رشيد ورشدت لغتان صحيحتان .. حكاهما يعقوب في الإصلاح قال: المقري قلت: وهذه كرامة من الرجلين"[13].

في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام:

يحدثنا العالم والولي الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن علي بن محمد بن القاسم بن حمود بن علي بن عبد الله بن ميمون بن عمر بن إدريس بن بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن مراتب المجتهدين؛ ويضع لنا الضوابط. والمعايير التي ينبغي أن يتوخاها المجتهد، كما يحدد أدوات ومقاييس المجتهد عندما يتناول مسألة ما، ويضرب لنا أكثر من مثال على ذلك وكأنه يضع لنا فلسفة خاصة بعلم الاجتهاد قائلا: "إنكم تعلمون أن المجتهدين صنفان. الأول: مجتهد بإطلاق وهو المطلع على قواعد الشريعة، المحيط بمداركها العارف بوجوه النظر فيها؛ فإذا عنت له نازلة أو سئل عن مسألة بحث عن مأخذ الحكم فيها؛ فنظر في سنده وفي وجه دلالته على الحكم المطلوب، ثم نظر في معارض السند وفي الجمع بتخصيص العام وتقييد المطلق وتأويل الظاهر وفي الترجيح إن لم يعلم المتأخر بعد الإحاطة بوجوه الترجيح في السند والمتن والدلالة وموافقة أصول الشريعة، ثم عمل بالراجح منهما وبالمتأخر حيث ظهر ويصير المتقدم لغوا كأنه لم يكن البتة؛ فلا يعتبره في أصل ولا ترجيح هذا نظر المجتهد المطلق. والصنف الثاني يجتهد في مذهب معين، وهو الذي يطلع على قواعد إمامه ويحيط بأصوله و مأخذه التي يستند إليها ويعتمد عليها. عارفا لوجوه النظر فيها وبها ويكون نسبته إليها كالمجتهد المطلق لقواعد الشريعة، وهذا كابن القاسم وأشهب في مذهب مالك، والمزني وابن شريح في مذهب الشافعي، وأبي يوسف في مذهب أبي حنيفة؛ ومما يوضح لك الفرق بين الصنفين أن الشافعي و ابن القاسم وأشهب قرأوا جميعا على مالك وانتفعوا به أتم الانتفاع، أما الشافعي فترقى لدرجة الاجتهاد المطلق؛ فإذا سئل عن مسألة نظر فيها نظرا مطلقا وذهب إلى ما أداه إليها اجتهاده، وأما ابن القاسم؛ فإذا سئل عن مسألة

فيقول: سمعت مالكا يقول فيها: كذا. وإن لم يبلغه قال: لم يبلغني منه شيئا قال: لم أسمع منه؛ ولكن قال لي: المسألة الفلانية كذا؛ ومسألتك هذه مثلها. فهذه رتبة الاجتهاد المذهبي"[14].

وفي إعمال العقل بواسطة علم المنطق يذكر لنا المؤلف ابن مريم في ترجمته للعالم والولي الصالح محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدي التلمساني الشهير بالأبلي — نسبة إلى جبل وحصن بقرب غرناطة: "قال المقري ولما قدم على مدينة تلمسان شيخنا محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر رسولا عن صاحب بجاية زاره الطلبة، فكان فيما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ويستشكله الشيخ معهم، وهذا نصه: ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس والبسيط مثل المركب في الفصل وأن الجنس أقوى من الفصل. فاخبروا بذلك الشيخ الإبلي لما رجعوا إليه؛ فاستشكله ثم تأمله فقال: فهمته وهو كلام مصحف وأصله: أن المركب قبل البسيط في الحس والبسيط قبل المركب في العقل وأن الحس أقوى من العقل. فرجعوا إلى ابن المسفر وأخبروه، فلج. فقال لهم الشيخ: اطلبوا النسخ، فوجدوه في بعضها كما قال الشيخ -يعني الشيخ الإبلي"[15].

و -أيضا- يذكر لنا المؤلف المساجلة الشعرية حول علم المنطق التي جرت بين الإمام السيوطي وبين العالم والولي الصالح سيدي محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني قائلا: "وقع بينه وبين الجلال السيوطي نزاع في علم المنطق؛ فمما كتب للسيوطي في ذلك قوله:

- سمعت بأمر ما سمعت بمثله ... وكل حديث حكمه حكم أصله
- أيمكن أن المرء في العلم حجة .. وينهى عن الفرقان في بعض قوله

- هل المنطق المعني إلا عبارة... عن الحق أو تحقيقه حين جهله [16]

فردّ عليه الشيخ جلال الدين السيوطي بنظم جميل ختمه في هذين البيتين :

أقمت دليلا بالحديث و لم أقم ... دليلا على شخص بمذهب مثله سلام على هذا الإمام فكم له... لديّ ثناء واعتراف بفضله [17].وعلم الكلام لا يقل أهمية عن علمي الفلسفة والمنطق، وقد اشتهر به علماء العرب والمسلمين في العصر العباسي عصر الازدهار العلمي والثقافي؛ حينما كثرت الفرق والملل وتعددت الآراء واختلطت المفاهيم؛ فهناك أهل السنة الأشاعرة، وهناك الشيعة الاثني عشرية والإسماعيلية، وهناك الخوارج الأزارقة و الأباضية، وهناك الصوفية وطرقها، وهناك المعتزلة والظاهرية وغيرهما، وهناك الفلاسفة، وفي المقابل هناك الديانات دخلت لمجادلة الإسلام مثل اليهودية والمسيحية والزرادشتية والثانوية والمانوية، فكان لابد لعلماء المسلمين من التصدي لكل هؤلاء وما يحملون من أفكار، متحصنين بالكتاب والسنة، وقد كان لهم النصرة بفضل الله. وفي هذا ينكر لنا المؤلف ابن مريم العالم الفاضل والولي الصالح سيدي محمد بن أبي مدين التلمساني، يقول عنه المؤلف: ".قصب السبق في المنقول والمعقول خصوصا علم الكلام ا.ذ لولا هو لتلاشى علم الكلام"[18].

في كرامات الأولياء:

كرامات العلماء والأولياء الصالحين في تلمسان كثيرة عجيبة تقف إزائها حائرا. ولعلها أزعجت بعض المهتمين بشؤون الشريعة، لذا سنحاول أن نشير إليها إشارة لمن أراد أن يتزود بها وللمهتمين والمشتغلين في هذا الميدان ولا ضير ان نذكر كرامة واحدة ونشير للبتية بالصفحات:

في نكر العالم الجليل والولي الصالح سيدي إبراهيم بن يخلف بن عبدالسلام تنسي المطماطي ، قال المؤلف: "ما حدث به ابن القطان عنه أنه قال لما دخلت مكة وطفت بالبيت ذكرت قوله تعالى: "ومن دخله كان آمنا" سورة: آل عمران، آية:97 ؛ فقلت في نفسي: تعارضت الأقوال واختلفت المذاهب في معنى (آمن) فصرت أكرر وأقول: آمنا آمنا آمنا مماذا ؟ فسمعت هاتفا خلف ظهري يصوت: آمنا من النار يا إبراهيم . ثلاث مرات مرتين"[19].

وتكثر الكرامات عند الأولياء الصالحين الآتية أسماؤهم:

- سيدي أحمد بن موسى الشريف الإدريسي تلميذ سيدي أحمد بن الحاج ص 26 .
- في نكر العالم الجليل أحمد بن صالح بن إبراهيم ص 30.
- سيدي أحمد بن الحسن الغماري ص 31 .
- سيدي شعيب بن الحسن الأندلسي ص 112.

في البلاغة العربية:

جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا" فـــ "البيان في البلاغة هو علم يقصد به إيراد المعنى في صور مختلفة كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية"[20]. والبيان في اللغة العربية لا يقف عند علم البيان في البلاغة العربية؛ فالبلاغة العربية تنقسم إلى ثلاثة أقسام علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع، ويتجه ظني أنها إذا اجتمعت يطلق عليها "بيان"، ويدخل في ذلك موسيقى الشعر الخارجية المتمثلة بالوزن والقافية والروي، وموسيقى داخلية متمثلة بأقسام علم البلاغة سالفة الذكر، وعلى هذا سوف نقتطف بعض الجزئيات مما ذكرنا:

في علم البيان :

*أنشد سيدي زيان بن احمد يونس الجيني:

– أصبحت نفسي رهينة ... بين مكة والمدينة[21]

استخدم الاشارة المكنية (نفسي رهينة)، كما استخدم الكناية في تعلقه بمكة المكرمة والمدينة المنورة حبا بالحرم المكي الشريف والحرم النبوي الشريف.

*أنشد سيدي عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن موسى:

* على قدر تقوى الله تأتي المواهب ... وتأتي على قدر الذنوب المصائب[22]

*أنشد العالم والولي الصالح محمد بن محمد بن عرفة الورغمي:

– وآحاد عصري مضوا جملة ... وعادوا خيالا كحليف المنام[23]

* أنشد سيدي أحمد بن محمد بن يعقوب العجيسي الشهير بالعبادي:

– وليس يقيس البحر من كان جاهلا ... ولكن بفضل الله تسلك سفينتي

– سفينتنا يا ذا لئن كنت عاقلا ... فتجري بتحقيق ونور المحبة[24]

في علم البديع :

السجع: "مع الصبر على ملازمة الخلوات، وترك جميع الشهوات" [25].

اقتباس: "أنه من أكابر أولياء الله تعالى المنقطعين لعبادته وتلاوة آياته في آناء الليل وأطراف النهار"[26] وقال المؤلف: "قال عنه ابن صعدة في النجم الثاقب كان هذا الولي أحد من أوتي الولاية صبيّاً وحَلّ من رئاسة العلم و الزهد مكانا عليًّا"[27].

الجناس والطباق :

* أنشد العالم والولي الصالح إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي:

- وتبسط مقبوضا وتضحك باكيا... وترفع بالبر الجزيل و بالأجر
- عليك بها فالقوم باحوا بسرها.. وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر(29)

* أنشد سيدي أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي:

- إذا نطق الوجود أصاخ قوم... بآذان إلى نطق الوجود
- وذاك النطق ليس به انعجام ... ولكن دق عن فهم البليد
- فكن فطنا تنادي من قريب ... ولا تكن من ينادي من بعبد(30).

في ذكر القوافي:

* أنشد العالم والولي الصالح إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي قصيدة نصيحة للمسكين حذر فيها من أشياء ورغب فيها في أشياء وسماها بالنصح التام للخاص والعام أولها:

- إن شئت عيشا هنيئا وإتباع هدى ... فاسمع مقالي وكن بالله معتضدا"

وتسمى بالدالية(31). وله قصيدة أيضا تقرأ مع وظيفته التي جمعها في الأذكار تقرأ في كل وقت من ليل أو أنهار أولها:

- مرادي من المولى وغاية آمالي ... دوام الرضى والعفو عن سوء أعمالي

وتسمى باللامية(32)

في ذكر الشعراء:

* سيدي أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوفي أصلا ونجارا الورنيدي مولدا ودارا "كان شاعرا ماهرا في عروض الشعر"(33).
* سيدي محمد بن عمر بن خميس أبو عبد الله "شاعر المائة السابعة" (34).
* سيدي محمد البناء "كان شاعرا أديبا"(35).

* سيدي محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي "كان من أبرع الكتاب خطا وأدبا وشعرا"[36].

* سيدي محمد بن عبدالرحمن الحرضي الفقيه التلمساني "العالم الأصولي الشاعر المكثر له نظم في العقائد" [37].

* سيدي محمد بن أبي البركات النانلي التلمساني "أحد المشهورين بها له نظم حسن" [38].

* سيدي محمد بن عيّاد الكبير الرافدي العمراني الشريف " كان شاعرا ماهرا في الشعر" [39].

في النحو:

جاء في تعريف الفصاحة أنها: "سلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التأليف" [40]، وقال سيبويه: تقول رجل فصيح وكلام فصيح اي بليغ"[41]، وإليك بعض العلماء الذين ترجم لهم ابن مريم اختصوا بعلم النحو والصرف:

* سيدي أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي النشريسي؛ قال عنه المؤلف: "وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من يحضره يقول: لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه" [42].

* سيدي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي أبو علي الشهير بأبركان "يقرأ ألفية ابن مالك قراءة حسنة يقتصر في النظر على شرحها للمكودي"[43].

* سيدي ريان العطافي "الفقيه الأستاذ النحوي"[44].

* سيدي زيان بن أحمد بن يونس الجيزي، قال عنه المؤلف: "عالم جليل مثل سيدي زيان. قال عنه البدر القوافي: هو شيخنا العلامة الفهامة عمدة الخلف وبقية السلف ذو الفضائل العديدة البهية في العلوم العقلية والنقلية"[45]. نلاحظ هذا العالم الجليل قد أكثر من كتب النحو من مثل "مغني اللبيب في كتب الأعاريب لابن هاشم الأنصاري، توضيح ألفية ابن مالك، ويختتم المؤلف كلامه قائلا: "اشتهر باليد الطولى في العربية منفردا بمعرفة كتاب الرضي على الكافية" [46].

* سيدي عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني "قرأ القرآن على الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن زيد بفاس وقرأه بحرف نافع وختم عليه جمل الزجاجي وألفية ابن مالك ثم قرأ على الفقيه النحوي الأستاذ الصالح أبي عبد الله ابن حياتي الجمل والمقرب ثم جملة صالحة من كتاب سيبويه والتسهيل نحويا جرى منه النحو مجرى الدم. حافظا للغة والغريب والشعر والأمثال وأخبار العلماء ومذاهب الفرق. مشاركا في جميع العلوم. حسن المجلس. عذب الكلام. فصيح اللسان. مليح المنطق"[47].

* سيدي عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن موسى " كان علامة في الفقه والوثائق وعلم الحديث والنحو وعروض الشعر ماهرا فيه" [48].

* العالم الجليل : علي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي له مؤلفات متعددة ومتنوعة في جل العلوم وله كتب في النحو من مثل "مختصر مفيد في النحو، شرح ألفية ابن مالك، شرح الأجرومية، شر جمل الزجاج[49] .

* سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني، يقول عنه المؤلف: "من تأليفه التي لم تكتمل في النحو : إيضاح

المسالك على ألفية ابن مالك، انتهى إلى اسم الإشارة أو الموصول مجلد وقفت على أوله ومجلد في شرح شواهد شرحها إلى باب كان واخواتها.." [50].

* سيدي – بن عباس بن محمد بن عيسى العبادي الشهير بابن العباس التلمساني، له تأليف منها شرح لامية الأفعال وشرح جمل الخونجي [51].

* سيدي محمد بن محمد بن العباس التلمساني الشهير بأبي عبدالله "الشيخ الفقيه النحوي" [52].

* سيدي محمد بن سعيد المدعو الحاج المناوي أصلا الورنيدي مولدا ودارا "من أقوله: كان رضي الله عنه يقول: ألفية ابن مالك عندنا كخبز الجلوس"[53].

* سيدي محمد بن أحمد بن داود العطابي التلمساني "الفقيه العالم النحوي الخطيب" [54].

* سيدي محمد بن عبَّو الورنيدي العبد السلامي "النحوي الخطيب له باع فى النحو والقراءات"[55].

* محمد بن القاسم أبو عبد الله الأنصاري ثم التونسي عرف بالرصاع "ألف تواليف: تأليف في الكلام على الآيات الواقعة في شواهد المغني لابن هشام في سفرين، وجزء في إعراب كلمة الشهادة"[56].

* سيدي محمد بن أحمد الكناني المعروف ببوزوبع رحمه الله "النحوي العالم العلامة العروضي"[57].

* سيدي محمد بن علي بن رثو الزكوطي "كان نحويا"[58].

الإشارات:

* أنشد سيدي عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن موسى

- على قدر تقوى الله تأتي المواهب ... وتأتي على قدر الذنوب المصائب" [59]

وهو إشارة إلى بيت المتنبي:

- على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

* أنشد سيدي يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل:

- لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ... فقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
- وقلت يا سيدي يا منتهى أملي ... يا من عليه بكشف الضر أعتمد
- أشكو إليك أمورا أنت تعلمها... مالي على حملها صبر ولا جلد
- وقد مددت يدي بالذل مشتكيا... إليك يا خير من مدت إليه يد[60]

إشارة إلى قوله تعالى في خاتمة سورة البقرة أية 286 :" لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦"

والإشارات كثيرة في هذا الكتاب.

في القراءات:

يقول الدكتور تواتي بن تواتي عن القرآن والقراءات ": إن الفرق بينهما يوضحه تعريف كل منهما: فالقرآن فهو اللفظ الموحي به إلى محمد صلى الله عليه وسلم للبيان

والإعجاز وأما القراءات فهي ما قد يعتور اللفظ المذكور من أوجه النطق والآراء كالمدّ والقصر والتخفيف والتثقيل وغيرها مما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل عنه بالسند الصحيح المتواتر" [61].

وأنا هنا لا أعني القراءات القرآنية المتعارف عليها السبع أو العشر أو حتى القراءات الشاذة، بل عنيت تلك القراءة التي تفي بالفطرة دون توجيه.

فقد جاء في ترجمة سيدي أحمد الغماري:

"حتى قرأ ذلك الطالب في سورة النور قوله تعالى (المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري) فأعجم دال دري. فقال له ذلك السيد بكلام لطيف جدا: دال دري مهملة؛ فانتهره ذلك الطالب وكان جاهلا وقال له: هو بدال معجمة مشتق من الذرية والذرية كلها معجمة. فسكت عنه و لم يرده شيئا" [62] سورة : النور ، آية: 35 .

وجاء في ترجمة سيدي شعيب بن الحسن الأندلسي:

"قال صاحب الترجمة في بعض فتاويه: حضرت مجلس شيخنا العلامة تحفة الزمان ابن عرفة رحمه الله تعالى أول مجلس حضرته فقرأ " ومن ينعس عن ذكر الرحمان"، فجرت بيننا مذاكرات رائقة وأبحاث حسنة فائقة منها أنه قال قرئ "يعش" بالرفع و " نقيض" بالجزم، ووجههما أبو حيان بكلام ما فهمته وأظن في النسخة تصحيفا. وذكر بعض ذلك الكلام فاهتديت إلى تمامه. فقلت: يا سيدي معنى ما ذكر أن جزم "نقيض" بـــــ "من الموصولة" لشبهها بالشرطية لما تضمنته من معنى الشرط و إذا كانوا يعاملون الموصول الذي لا يشبه لفظه لفظ الشرط فالمشبه[63] أولى بتلك المعاملة، فوافق رحمه الله وفرح لأن كمال الإنصاف كان طبعه. وعند ذلك أنكر علي جماعة من أهل المجلس وطالبوني بإثبات معاملة الموصول معاملة

الشرط. فقلت: نصهم على ذلك دخول الفاء في خبر الموصول في نحو (الذي يأتيني فله درهم من ذلك)، فنازعوني في ذلك. وكنت حديث عهد بالتسهيل. فقلت: قال ابن مالك فيما يشبه المسألة: وقد يجزم مسبب عن صلة الذي تشبيها بجواب الشرط. وأنشدت من شواهد المسألة قول الشاعر:

– كذاك الذي يبغي على الناس ظالما... تُصِبْهُ على رغم العواقب ما صنع فجاء الشاهد موافقا للحال" (64) . قال تعالى :" ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين" سورة: الزخرف، آية : 36.

الإحالات

1 – محمد بن مريم المديوني التلمساني ،البستان في ذكر الأولياء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر: ص 8 .

2 – نفسه ص 8 .

3 –ابن مريم ، المصدرالسابق، ص 25.

4 – المرجع نفسه 25.

5 – انظر : لسان العرب لابن منظور فصل الباء المجلد 13 ، ص 69.

6 – انظر : البستان ص 45.

7 – المرجع نفسه ص 45 .

8 – انظر : لسان العرب لابن منظور ص 69.

9 – انظر : البستان ص 45 .

10 – انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني ص 137.

11 – انظر : البستان ص 48.

12 – انظر معجم اللغة العربية — المحيط ص 945.

13 – انظر : البستان ص 159 . وانظر : تعريف الخلف برجال السلف 356/2.

14 – المرجع نفسه ص 178 و 179. وتعريف الخلف برجال السلف 86/1 .

15 – المرجع نفسه ص 216. وتعريف الخلف برجال السلف 105/1 .
16 – المرجع نفسه ص 256.
17– المرجع نفسه ص 257.
18 – المرجع نفسه ص 259
19 – المرجع نفسه ص 67.
20 – انظر : معجم اللغة العربية ص 263 / – ح.
21 – انظر: البستان ص 103.
22 – المرجع نفسه ص 133.
23 – المرجع نفسه ص 197 .
24 – المرجع نفسه ص 47 .
25 – المرجع نفسه ص 31 .
26 – المرجع نفسه ص 31
27 – المرجع نفسه ص 64 .
28 – المرجع نفسه ص 62 .
29 – المرجع نفسه ص 62 .
30 – المرجع نفسه ص 69 و 70 .
31 – المرجع نفسه ص 60 .
32 – المرجع نفسه ص 60 .
33 – المرجع نفسه ص 8 .
34 – المرجع نفسه ص 225 ، ولا ادري ما يعني بالمائة السابعة ؟ .
35 – المرجع نفسه ص 226 .
36 – المرجع نفسه ص 227.
37 – المرجع نفسه ص 252 .
38 – المرجع نفسه ص 257 .
39 – المرجع نفسه ص 276 .
40 – انظر :معجم اللغة العربية ص 945.

41 – انظر : لسان العرب لابن منظور ص 544.
42 – انظر: البستان ص 53.
43 – المرجع نفسه ص 87.
44 – المرجع نفسه ص 101.
45 – المرجع نفسه ص 102.
46 – المرجع نفسه ص 103.
47 – المرجع نفسه ص 117 و 120. وانظر تعريف الخلف برجال السلف 56/2.
48 – المرجع نفسه ص 129.
49 – المرجع نفسه ص 141.
50 – المرجع نفسه ص 211.
51 – المرجع نفسه ص 223.
52 – المرجع نفسه ص 259.
53 – المرجع نفسه ص 266 .
54 – المرجع نفسه ص 279 .
55 – المرجع نفسه ص 280 .
56 – المرجع نفسه ص 283 .
57 – المرجع نفسه ص 285.
58 – المرجع نفسه ص (291 .
59 – المرجع نفسه ص 133 .
60 – المرجع نفسه ص 302 .
61 – انظر : القراءات القرآنية تعريفها وأوجه اختلافها للدكتور تواتي بن تواتي، جامعة الأغواط ، الجزائر، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد التاسع، السنة الخامسة، جمادي الثاني 1430 هـ = جوان 2009 ، ص 95.
62 – انظر: البستان ص 36.
63 – راجع ; البستان ص 213 و214.(بالمشبه) هكذا رسمت.
64 – راجع : البستان ص 39 . وتعريف الخلف برجال السلف 1/46 .